مَجلّة فصليّة محكّمة

تُعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة
وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره

تصدر عن

الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة
مؤسّسة علوم نهج البلاغة

مُجازَةٌ من وزارة التّعليم العالي والبَحْثِ العِلْميّ
مُعْتَمَدةٌ لأغراضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيّة

السنة السابعة- العدد الخامس عشر

نيسان ١٤٤٣هـ- شهر رمضان ٢٠٢٢م

الملحق:

قراءة في مقدمة سماحة آية اللّه محمد رضا الخرسان لكتاب الانتصار للشريف المرتضى (عليهما رحمة اللّه ورضوانه)

بقلم: أ. د. صلاح مهدي الفرطوسي.

قدَّم لي الصديق العزيز السيد العلامة المحقق محمد صادق الخرسان مشكورًا نسخة من كتاب (صدى الرحيل) الذي أشرف على إعداده السيد عبد الستار الحسني، وطبعته مطبعة الرائد سنة ٢٠١٩م في مائتين وأربع وستين صفحة؛ ونشر بعد رحيل السيد الفقيه محمد رضا الخرسان إلى جوار ربه (رضوان الله عليه)؛ واحتوى الكتاب على مقدمة، وخواطر مع رحلة الفجر تناول فيها السيد صادق سيرة حياة والده ومكانته العلمية والاجتماعية والتربوية، وتراثه المطبوع والمخطوط؛ وهو عرض على وجازته جامع لأطوار حياة الراحل الكبير من المهد إلى اللحد؛ ثم اختار من تراثه ثلاث مقدمات قدم فيها الفقيد ثلاثة كتب فقهية تراثية قديمة؛ وهي (كتاب المناقب) للخوارزمي من تأليف أبي المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد البكري المكي الحنفي المتوفى سنة ٥٦٨هـ، و(كتاب مقدمة النصائح الكافية لِمن يتولى معاوية) من تأليف السيد محمد بن عقيل بن عبد الله الحسيني المتوفى سنة ١٣٥٠هـ، و(كتاب الانتصار) للسيد المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦هـ، الذي أنا بصددها.

ونشر بعد المقدمات بعض ما أبَّن به الفقيد (رضوان الله عليه)، وهو بعنوان (نشيج الغياب) لما جادت به قرائح بعض الأدباء والشعراء من مشاعر ومواساة. وتبعه من بعد بثلاث إجازات حبرها للفقيد بعض الأعلام، منها إجازة بعنوان ثبت الإثبات، وهي للسيد شرف الدين العاملي المطبوعة بصيدا سنة ١٩٤٩م، وتبعها بإجازة الشيخ حسين القديحي، وهي بخط يده، ثم إجازة

الشيخ أغا بزرك الطهراني، وختم برسالة للسيد شرف الدين (رضوان الله عليه) التي أرسلها للسيد الفقيد في ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٧٦هـ، ردًّا على رسالته، ثم كلمة الرضا في المؤتمر الدولي لتكريم الإمام شرف الدين. وختم الكتاب بمجموعة من صور الفقيد في المناسبات المختلفة. فله الشكر والمنّة على ما أهدى، وعظم الله له الأجر والثواب بمصابه الجلل، إنه على كل شيء قدير. وبسبب صلة الرحم التي ربطتني بآل الخرسان عامة وبالصديق العزيز العلامة المحقق السيد صادق، رأيت أن أواسيه بفجيعته، وذلك بعرض ما حبّره الفقيد في مقدمته لكتاب الانتصار للشريف المرتضى رضوان الله تعالى عليهما.

أقول: مازال لقائي بالسيد الرضا الخرسان (طيَّب الله ثراه) كأنه الساعة على الرغم من مرور سنيات على آخر مرة تشرفت فيها بزيارته، وما زرت ساحته مرة إلَّا وخرجت من داره العامرة وأنا أشعر بالدهشة الممزوجة بالمتعة والإجلال والاحترام لذلك السيد الوقور، والإفادة من مجلسه المتخم بالأطايب، من علم، وثقافة، وأدب، وفقه، ورواية، ودروس تربية وأخلاق.

ويوم ذهب إلى جوار جده المرتضى (عليه السلام) لم أكن بالمدينة المقدسة حين ذاك كي أواسي أخي الصادق بمصابه وأشارك بتشييع الفقيد إلى مثواه الأخير؛ فشعرت بفجيعة كبيرة، وأسف وحزن شديدين؛ إذ خسرت المدينة برحيله عالمًا يصعب أن يجود الدهر بمثله علمًا، ووسطية، وسماحة، وتواضعًا، وطيب معشر؛ وكان فوق هذا وذاك تربويًا أنفق ربيع عمره وخريفه في الاهتمام

بتنشئة جيل صالح من أبناء وطلبة حوزة.

ولد السيد الخرسان سنة ١٩٣٣م ورحل مأسوفًا عليه سنة ٢٠١٩م، عن عمر جاوز الثمانية عقود كان فيها زاهدًا بما في أيدي الناس، منصرفًا إلى درسه وتدريسه ورعاية أبنائه وطلبته في النجف الأشرف، ولم تستطع تقلبات الأحداث التي مرّ بها أن تجرفه إلى مهاويها كما جرفت غيره، واستطاع بحنكة وتدبر أن يبتعد عن مزالقها على الرغم من الترهيب والترغيب الذي تعرض له؛ فرضوان الله عليه يوم ولد، ويوم ارتحل، ويوم يبعث حيًّا، ويكفيه عزًّا فوق مجده الباذخ أن يكون من أبنائه النجباء بكره العلامة الكبير السيد محمد صادق الخرسان أطال الله عمره، أحد أساتذة الحوزة العلمية اليوم في مدينة إمام المتقين، وأول من صلّى الجماعة من علماء مدينته في حَرَمِهِ (عليه السلام) بعد السقوط.

وقد ربطتنا أبناء جدِّي الشيخ علي الفرطوسي طيب الله ثراه بالسادة آل الخرسان خؤولة نعتز بها ونفخر، ونتمسك، ونتعلق؛ لما لهذه الأسرة الكريمة من باع طويل في خدمة مذهب أهل البيت (عليهم السلام)؛ إذ عرفت فيهم الحوزة العلم والتواضع الجم، والوسطية التي تجمع ولا تفرق، والبعد عن كل ما يشين، والانصراف إلى الله جيلًا بعد جيل.

فتح الفقيد العزيز عينيه في بيت عربي من بيوتات المدينة العلمية الأصيلة التي لا تعرف غير الدرس والتدريس، فوالده السيد حسن من آيات الله في زمانه علمًا وثقافة وحرصًا على تنشئة أبناء أسرته تنشئة علمية فاضلة، وفقيهًا من

كبار فقهاء عصره، وأستاذًا يشار إليه بالبنان، وكادت المرجعية الدينية تحط رحالها عنده لولا أنه اعتذر عنها وَرَعًا وخوفًا من أن ينزلق في مهاوي دنيوية عافتها نفسه الأبية الزاهدة، وقد تربى السيد الرضا أيضًا في عين البيت الذي ربَّى والده، بيت عميد أسرة آل الخرسان آنذاك السيد عبد الرسول؛ فأخذ السيد حسن ولده الرضا بما أخذه به أبوه مقتديًا بسيرة أجداده أهل بيت النبوة (صلوات الله وسلامه عليهم).

والحديث عن هذه الأسرة الفاضلة طويل لا يمكن عرضه في هذه العجالة التي خصصتها لموضوع بعينه.

وما إن تعدَّى السيد الرضا مرحلة الطفولة إلى الشباب حتى أحس بالمسؤولية الملقاة على عاتقه، والعبء الثقيل الذي عليه أن يحمله بكل قوة وإباء وشمم بعد رحيل والده.

وأما المرتضى فولد سنة ٣٥٥هـ في عصر العصور القرن الرابع، قرن الدولة الشيعية في المشرق والمغرب، عصر القمم الشامخة والانفجار الحضاري في تاريخ الإسلام المعرفي، وهو عصر النور والتنوير الذي ليس له من مثيل في تاريخ الإنسانية الزاهر، وقد قلت عنه من قبل من بين ما قلت: إنه (عصر التوهج، والانفتاح، والتحضر، والتزاوج، والتلاقح؛ إذ أظلَّ أمّة من أبرز علماء العربية والإسلام، كالطبري، والهمداني، واليعقوبي، والرازي، والفارابي، وابن النديم، والصاحب، وابن دريد، وابن جنِّي، والأزهري وأبي الفرج الأصفهاني، والهروي، والبيهقي، واللخمي، وابن رشيق، والقزاز، والقالي، والزبيدي، وغيرهم، وهو بلا شك عصر

التفسير، والقراءات، والحديث، والفقه، وعلوم العربية، وعلم الكلام، والرياضيات، والفلك، والكيمياء، والفيزياء، والطبيعيات، والطب، والصيدلة، والفلاحة، والتاريخ، والجغرافيا، والرحلات، والسير، والأنساب، والملل، والنحل، والأهواء.. وهو أيضًا عصر الزهد، والتصوف، واللهو، والمجون، والفسق، والتفكك، والخلاعة، والفقر، والكدية، والشطَّار).

وما بين ولادة المرتضى وحين رحيله سنة ٤٣٦هـ (رضوان الله عليه) في ذلك العصر العجيب حياة حافلة بالعلم والمجد والسؤدد والعظمة؛ إذ نهل من معين أئمة عصره من مراجع الشيعة الكبار ببغداد وغيرهم، وشب نابغة لا يدانيه أحد بعد أن تجاوز شيوخه في فنون المعرفة التي كانت سائدة في زمانه.

وأزعم أن السيد حينما تصدى لعرض أطوار حياة المرتضى (نور الله تربته)، كان عارفًا بأنه يتصدى لأمر جلل، وعملاق من عمالقة الفكر والثقافة الإسلامية، وبحر من بحور الأدب والفقه والتفسير وعلم الكلام، وقامة عالية من قامات الشعر في ذلك العصر المتخم بالكبار. ولم يكن الرضا غافلًا عن كل هذا، ولا أظنه كان مترددًا في ولوج ذلك الصعب، فقد تأسس تأسيسًا علميًّا متينًا ونهل من مناهل المعرفة العذاب، في بيئة مدينة إمام المتقين العلمية زمن المراجع الكبار في العصر الحديث. والنجف منذ عصر الشيخ الطوسي إلى يوم الناس هذا بيئة التشيع في العالم، فما من طالب علم أو مجتهد أو عالم أو مرجع في أقطار الدنيا إلَّا حجَّ لها، وتزود من زاد علمائها الأعلام، وكان الزحام على أشده في حلقاتها

التي تبدأ مع الفجر ولا تنتهي إلا بعد غسق من الليل.

ومما يحسب للسيد الخرسان قدرته الهائلة على لي معصم اللغة إلى جانبه، ويوم قرأت ما قرأت له أصبت بالدهشة من لغته التي يصعب الوقوف على مثيل لها فيما قرأته لغالبية الباحثين من رجال الدين خاصة، وأزعم أنه حينما كتب مقدمة الانتصار علا فيها على لغة كثير من الكتاب العراقيين والعرب أيضًا، ففاز بالقدح المعلَّى؛ أنظر إليه كيف افتتح تلك المقدمة الرائقة الجميلة كي يحدث الدهشة في نفس قارئه ويمسك بتلابيبه حتى لا يهرب منه؛ قال: (كنت أحسبني -وأنا أنتظم حلقات الدراسة العليا في حوزتنا- أن فرص التفرغ والتعمق العلميين ستكون أكثر سنوحًا لي، وأوفى مواصلة واستدامة، ولكن ما إن توغلت في المضمار حتى بدا لي أن الشوط أكثر طولًا مما قدَّرت، وأكبر جهدًا ومعاناة مما تصورت، وأن ما أنهد إليه من تعمق في دراساتنا ليس بالأمر الذي يحسبه البعض هيِّنًا، وإن الطريق إليه معبدة سالكة، بل الأمر أخطر من أن يُلَمّ به في سنوات قابلة للتحديد بالكم...)، وهكذا شرق بقارئه بعيدًا عن المرتضى وكتابه الانتصار، كي يلفت نظر من لا علاقة له بالدراسة الحوزوية إلى صعوبة الغوص في غمراتها بسبب يبسها ووعورتها، وصعوبة مباحثها، وما تحتاج إليه من صبر وجدٍّ وجلدٍ ومثابرة في لغة مشرقة فصيحة، وبمسحة بلاغية آسرة.

ثم أخذ بيده ثانية إلى التعريف بعلم الهدى عن طريق مدخل رائق أيضًا، كي لا يسارع الضجر إليه، بعبارة حلوة بليغة فصيحة، فهو

معجب بالشريف، ويريد من قارئه أن يعجب به أيضًا، ولاسيما بعد أن طغت سمعة الرضي صاحب النهج على سمعته، وسار نهجه في آفاق الدنيا، وتلاقفته أيدي الكتاب والباحثين والمحققين منذ عصر الرضي إلى يوم الناس هذا، فشرح مرات كثيرة وحقق مرَّات، في وقت لا يقل فيه أخوه المرتضى عنه علمًا وأدبًا وشعرًا، بل قد تجاوزه، فأراد أن ينصف المرتضى الذي لم يفز بما فاز به أخوه من مجد باذخ وسمعة شغلت الباحثين والكتاب؛ قال: (ولكنني ما إن بدأت بسبر أحوال سيدنا المرتضى، حتى أحسست بطارئ غريب كاد يدهشني ويأخذ على فكري كل منافذه، فقد وجدتني أمام عملاق من عمالقة الفكر، وقمة من قمم الإسلام الشامخة.. وسيرته حافلة بكثير مما ينبغي أن يتمهل عنده الكاتب لاستخلاص العبر واستجلاء الحقائق، وآثاره هي بالطبع عصارة أفكاره التي تمخضت عنها حياته هي أيضًا ما لا يسعه المرور عليها مرورًا لا يتجاوز في حدوده مطالعة الأسماء والرموز)، ولم يكتف بهذا كي يمهد لقارئه فسحة الدخول إلى سيرة هذا الكبير قبل أن يدخل إلى كتابه الانتصار، وإنما قال: (إن جوانب العظمة في الشريف المرتضى منفسحة انفساح مدة عمره التي تجاوزت الثمانية عقود، وأبعادها مترامية ترامي آثاره ومآثره)، ونقل عن ابن بسام قوله: إنه كان (إمام أئمة العراق بين الاختلاف والافتراق، إليه فزع علماؤها، وأخذ عنه عظماؤها، صاحب مدارسها وجامع شاردها وآنسها، ممن سارت أخباره، وعرفت بها أشعاره، وحُمدت في ذات الله مآثره وآثاره، وتواليفه في

أصول الدين، وتصانيفه في أحكام المسلمين مما يشهد أنه فرّع تلك الأصول، ومن أهل ذلك البيت الجليل)، ونقل شهادات غيره.

وذكر أن السياسة أخذت مأخذها من والده الشريف أبي أحمد الحسين بين التغييب والنفي، فقد كان بحسب ما نقله السيد الخرسان سيّدًا عظيمًا مطاعًا، وكانت هيبته أشد من هيبة الخلفاء؛ فخاف منه عضد الدولة فاستصفى أمواله بعد أن رأى شدة سطوته وبأسه وغلبته على أعدائه، فقبض عليه وسجنه بقلعة شيراز، وظل سجينًا منفيًّا عن بلده إلى أن مات عضد الدولة سنة ٣٧٢هـ، مما أبعده عن النشأة الأولى لولديه المرتضى والرضي؛ ولكنّ الله رزق الشريفين ومنَّ عليهما بأمهما السيدة فاطمة بنت أبي محمد الحسن الناصر الصغير، وهي من عين البيت الشريف الذي انحدر منه أبوهما، وبسبب محنتها بتغييب زوجها (يممت بوجهها شطر شيخ الإمامية في عصره، وفقيههم المتكلم الشيخ المفيد طالبة منه أن يتولَّى تعليمهما.. فلبَّى الشيخ طلبها بعد أن احتفى بالزائرة الجليلة، وبالغ في احترامها، ولهذه السيدة الجليلة ألف الشيخ المفيد كتابه أحكام النساء). وهكذا أثار السيد الخرسان في نفس متابعه ما أثار من أحاسيس تدفعه لمواصلة الدرب معه حتى نهايته، بتركيز شديد وعبارة تبتعد عن الإطالة التي لا طائل من ورائها، وأسلوب يذكرنا بفن القول الجميل. وكان لابد أن يمنح القارئ فرصة لمعرفة هذا العملاق الكبير بمسرد على إيجازه أشار فيه إلى جميع جوانب نشأته ونسبه الشريف، فقد ولد في أوج الانفجار الحضاري الكبير الذي

ألمحت إليه.

ومن عجيب ذلك العصر الذي ولد فيه المرتضى أن طالب العلم لم يكن في حاجة إلى مال أو تذكرة سفر للقاء الكبار من علماء الأمة، فهو بكفالتها في حلِّه وترحاله، يشرق ويغرب في آفاق الدنيا تلميذًا وشيخًا؛ وقد شهدت النجف الأشرف ما شهدته تلك العصور من كفالة طالب العلم المهاجر إليها مسكنًا ومأكلًا، وما يحتاج إليه من مصاريف.

قال: (كان مولده الشريف في دار أبيه بمحلة باب المحول في الجانب الغربي من بغداد الذي يعرف اليوم بالكرخ في رجب سنة ٣٥٥هـ أيام خلافة المطيع لله ابن المقتدر الخليفة الثالث والعشرين من خلفاء بني العباس)، وقد ترى ما رأيت من جمعه ما بين الجغرافية والتاريخ بعبارة سلسة شديدة الإيجاز، فإن كنت لا تعرف محلة باب المحول، فهي في الجانب الغربي من بغداد، وإن كنت لا تعرف هذا الجانب منها، فأنت تعرف جانب الكرخ منها، وحتى لا ينبهم تاريخ ولادته عندك، ويذكرك بعصر المرتضى قال: ولد أيام خلافة المطيع ابن المقتدر الخليفة الثالث والعشرين من خلفاء بني العباس.

والمرتضى ليس كبقية المولودين يوم ولد، ولا كبقية العلماء الذين ذكرت أسماؤهم، وإنما ولد (حيث اكتنفه المجد والفخار، وحفت به العظمة من شتى نواحيها، من أبوين كريمين ماجدين يرفل كل منهما بأثواب العزّ والسيادة)؛ ووليد مثل هذا ولد في فمه ملعقة من ذهب كما كان يقال، قد لا ينصرف إلى ما انصرف إليه، وأنت تعلم أن كثيرًا من أبناء العلماء الميسورين قد انحرفوا عن جادة آبائهم، وأخذتهم الدنيا إلى مراتع

اللهو، وأضاعوا تاريخ آبائهم، كما أضاعوا ثرواتهم في الملاهي؛ ولكن الوليد السعيد لم تغره المغريات، وإنما جاهد أن يكون عند حسن ظن ذلك الشرف، فزاحم السابقين واللاحقين، وفاز بالحسنيين.

كان المرتضى بحسب ما قال عنه السيد الخرسان عن مصادره، وما ذكره المؤرخون من شمائله وسماته: (إنه رحمه الله كان ربع القامة، نحيف الجسم، أبيض اللون، حسن الصورة، فصيح اللسان يتوقد ذكاءً). وحين عرض مصادر معرفته لم يكن مروره عليها عابرًا، وإنما تحدث عن شيوخه ومكانتهم العلمية بين علماء عصرهم، وعن مؤلفاتهم وأثرها على المرتضى؛ فذكر له ستة عشر شيخًا هم من أساطين العلوم في عصرهم، فأخذ عنهم اللغة والأدب والفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام وما إلى ذلك من علوم؛ وفي مقدمتهم الشيخ المفيد شيخ الطائفة في زمانه، وأبو نصر عبد العزيز بن محمد بن نباتة السعدي الأديب الشاعر، والشيخ أبو عبد الله المرزباني الذي كان من أئمة الأدب وفنونه، وأبو علي الفارسي النحوي الشهير صاحب كتابي الإيضاح في النحو والحجة في علل القراءات، وغيرهم من الأعلام.

وبعد تزوُّد المرتضى من زاد الكبار، واستوعب ما قدموه من مفاخر مازالت الأمة تفاخر بها، بدأ بنشر ما استوعبه بعد أن أضاف إليه من علمه وعبقريته ما أضاف، فأخذت عنه أمَّة من طلاب العلوم في زمانهم ممن لا يحصيهم إحصاء، وقد اكتفى السيد الخرسان طيب الله ثراه بذكر أربعة وثلاثين تلميذًا هم من أعلام زمانهم، وفي مقدمتهم الشيخ الطوسي

شيخ الطائفة من بعده، والشيخ النجاشي، وابن الحاجب، وأحمد النيسابوري، والقاضي أبو القاسم علي التنوخي، وأبو الفتح عثمان بن جني، وغيرهم.

برع الشريف (في مختلف العلوم والفنون، وطار صيته في الأوساط العلمية والأدبية، ولمع اسمه في سماء الثقافة العربية والإسلامية التي كانت بغداد يوم ذاك تزخر بالعديد من ألوانها)، وفي أوليات القرن الخامس (كانت حياته تتسم بالعطاء الجزل والحركة النابضة، فما من شيء كان تعلمه إلّا وأفاض به، وما من مسألة تطرح عليه إلّا وأجاب عنها الجواب الشافي الكافي، وهو عبر هذا كله يؤلف ويفتي ويناظر ويستمع لمشكلات الناس التي تطرح عليه ابتغاء حلها، وطلبًا لرأيه فيها... فكان لا يفتأ عن الإفادة والاستفادة، ولا يصرفه شيء عن الاستزادة من القراءة والدرس والتدريس والتصنيف والفتيا، خصوصًا وراعي نبوغه ومتعاهد فقهه الشيخ المفيد مازال على قيد الحياة، والسيد في عز النشاط وكامل، الاستعداد، والفرصة سانحة، والوقت مؤات). تلك عبارة الفقيد السعيد، وقد تشعر بما شعرت به من أنها حينما تمر عليها تدفقت من بين أصابعه بيانًا وإيجازًا ورشاقة، وقد يظن من استعجل الحكم أن السيد غالى في التعبير عن مكانة صاحبه، ومنحه ما لم يكن يستحقه من عبارات الإطراء والوصف الجميل، إلا أنك ما إن تسير معه صفحات معدودات، حتى يأخذك العجب أيما مأخذ؛ إعجابًا بعبارته الآسرة، وإعجابًا بتوثيق ما ذكره عن هذه العبقرية التي زاحمت كبار علماء عصره فزحمتهم؛ وزاحمت

أيضًا كثير ممن نذر جانبًا من ماله على دور العلم وطلبته؛ ولاسيما أن بغداد كانت مقصد الدارسين لكثرة علمائها الأعلام، وطلبة العلم آنذاك حين يرحلون إليها من أقاصي الأرض بالآلاف لا يفكرون بزاد أو مؤونة، فقد كفلت معاشهم وسكنهم، كما كفلت مكتباتها التي لم يشهد العالم مثيلًا لها أدوات بحثهم. ولم يغال السيد الخرسان بما نعت به صاحبه، فقد كانت دور المرتضى (منتجعًا لأهل العلم وطالبي الفضل والمعرفة يرتادونها للتعلم والمدارسة والرفادة، ويستريح في رحابها الوافدون عليه من شتى الجهات)؛ وبيَّن أن السنوات الست ما بين سنة ٤٠٠ ولغاية سنة ٤٠٦، كانت سني بحث وتأليف ودرس، فلم يكن فيها مطوقًا بما طُوِّق به أخوه الرضي، فكأنها سنوت تفرغ علميٍّ، وإعداد فكري، إذ كان أخوه الرضي هو المكلف بأعباء نقابة الطالبيين، ولكن بعد رحيله انتقلت إليه، إذ لا يوجد بين الطالبيين من يستطيع مزاحمته في مكانته العلمية والاجتماعية والنسب الشريف الذي حازه بكل فخر واعتداد.

على أن رحيل الرضي (رضوان الله عليه) يوم الأحد السادس من المحرم سنة ٤٠٦هـ كان له أعمق الأثر في نفسه، ولعل فجيعته بوقع وفاته وحزنه عليه لا تعدلها المصائب التي مرَّ بها (حتى كادت روحه تتلف ولم يعد يتمالك على نفسه، ولا يقوى حتى على معاينة جنازة أخيه).

وما إن مرّ شهر على الرحيل حتى طُوِّقَ بما كان مطوقًا به الرضي من أعباء ولاية المظالم ونقابة النقباء الطالبيين وإمارة الحج والحرمين، وهي أعباء لا تقوم بها العصبة،

بالإضافة إلى تصديه لأعباء المرجعية الدينية بعد نكبته برحيل شيخه المفيد طيب الله ثراه الذي وافاه أجله في الثالث من شهر رمضان سنة ٤١٣هـ، وبرحيله أضيف إليه عبء جديد هو عبء المرجعية الدينية. وكنت قبل عقود مغرمًا بالسيد الرضي بعد قراءة ما حبره الدكتور زكي مبارك (رحمة الله عليه) عنه في كتابه عبقرية الشريف، وأنفقت من بعد خمس سنوات بالتمام والكمال بإعادة تحقيق نهجه والتعليق عليه، وإثبات تعليقات السيد الراوندي على نسخته من النهج التي عدها الفقيد عبد العزيز الطباطبائي أقدم شروح النهج.

وأشهد أن الفقيد العزيز (رضوان الله عليه) بما سطره عن المرتضى في تقديمه كتاب الانتصار قد يكون أول من أنصفه وحببه إلى القراء -وأنا منهم- ومن بين ما قال (رضوان الله عليه): (ولقد كان سيدنا المرتضى -كما تحدث مؤرخوه- أكثر استيعابًا من غيره لمشكلات الأمة وقضاياها، وأحفل بأمورها، وأبصر في تشخيص أدوائها وعلاجاتها، وذا روح رياضية عالية، وفكر قيادي ممتاز أهَّلاه للاضطلاع بمسؤوليات الأمة، والتصدي لقضايا المرجعية الدينية العامة وإدارة شؤونها)، ثم عرج على ذكر مقومات نجاحه في إدارتها، مع اختيار أمثلة لتوثيق ما ذهب إليه؛ منها: زكاوة البيت، وشرف الأرومة، وطهارة النفس، وإشراق الضمير، ورقة الشعور، والإحاطة اللازمة، والتوفر على صنوف المعرفة، ويسر الحال الذي مكنه من تحقيق ما كان يسعى إلى تحقيقه.

وقبل أن يذكر ما تركه المرتضى من إرث معرفي قال: (كان السيد المرتضى

نمطًا فذًّا في عالم المرجعية الدينية، زخرت أدوار حياته بالعطاء الوافر والخير العميم، وكان لنا من تراثه الفكري الذي أبدع فيه وجلَّى ما يدل بوضوح على ما كان عليه السيد المرتضى من تركيز علمي، وكفاءات وخبرات نادرة أغنى بثمارها المكتبة العربية والإسلامية).

خص الفقيد كتب المرتضى المطبوعة بالتنويه لضيق وقته أثناء طباعة الانتصار؛ أما التي لم تطبع بعد فلم يتحدث عنها، لأن (الحديث عنها يطول ويتشعب، لما تستلزمه طبيعة التحقيق من التثبت من أسمائها، وتمييز المفرد منها بالبحث عن المبحوث ضمنًا وفي جملة؛ لأني وجدت كثيرين ممن عنوا بعدِّها وتبيانها أغمضوا وخلطوا واشتبهوا.. فلا يسعني الإسهاب في بيانها وتعدادها، لذلك آثرت أن أخص الحديث بخصوص المطبوع من آثاره..). وإن كان لم يذكر بقية مؤلفاته فإنه لم يترك الباحثين من دون تشوق الطريق إليها؛ قال: (ومن أراد الاستزادة عن بقية آثاره فعليه بملاحظة ما ذكره تلميذه النجاشي في رجاله ص ١٩٢- ١٩٣، وتلميذه الآخر الشيخ الطوسي في الفهرست ص ١٢٥- ١٢٦، وابن شهراشوب في معالم العلماء ص ٦٩- ٧١، وأعيان الشيعة ٤١/ ١٩٥، والغدير ٤/ ٢٦٥- ٢٦٦، ومقدمة الأمالي ١/ ١٢- ١٧، ومقدمة الصفار لديوان المرتضى ١/ ١١٧، سوى ما يجده مبثوثًا منها في أجزاء الذريعة للطهراني حسب أوائلها) وفي هذا ما يغني الباحثين ويدلهم على التراث الخالد للسيد المرتضى (رضوان الله عليه).

تحدث السيد الفقيد عن اثنين

وعشرين كتابًا للرضي طبعت في أزمنة متفاوتة، وأماكن مختلفة ما بين مصر والعراق وإيران وغيرها، فذكر لكل كتاب منها سنة طبعه ومكانه وعدد صفحاته، وعدد طبعاته، ومناسبته، وموضوعه؛ أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: المسائل الناصريات التي استلها المرتضى من فقه جده لأمه الناصر الكبير، فشرحها واستدل على صحتها، والشافي في الإمامة الذي أبطل فيه حجج العامة، وتصدى للرد على كتاب المغني للقاضي عبد الجبار المعتزلي، وغيرها.

وخص كتاب الانتصار الذي هو بصدده بدراسة معمقة، وكان الفقيد قد وضع القارئ نصب عينيه، فقال: (ولكي نلج - أنا والقارئ - في رحاب الانتصار وننعم النظر بظلاله لابد لنا من الإلمام بأمور تعيننا على ذلك). فدرسه في أربعة محاور هي:

- الانتصار فكرة وأسلوبًا.
- في رحاب الانتصار وظلاله.
- الانتصار والفقه المقارن وعلم الخلاف، وما هما؟.
- طبعاته والحديث عن هذه الطبعة.

رأى السيد (رضوان الله عليه) أن المرتضى ألف كتابه الانتصار بعد سنة ٤٢٠ هـ بأدلة موضوعية عن طريق ما ورد في الكتاب نفسه، وتحدث بإيجاز وتركيز في القسم الأول من تقديمه الذي ألمحت إليه إلى أن مهمة الكتاب الامتناع من الظالم والاستظهار على الخصم لتجلية الحقائق الفقهية التي كادت تنطمس معالمها وتنبهم جراء المؤثرات العاطفية والتضليل اللذين كانا يمارسان على فقه الشيعة الإمامية بسبب أزمنة الاضطهاد والمحن المذهبية؛ لأنهم انفردوا

بفتاوى - بزعمهم- مما مهد عندهم بفكرة الابتداع، وقد أشار (رضوان الله عليه) إلى كل ذلك في مقدمته إذ بين (المسائل الفقهية التي شُنِّع بها على الشيعة الإمامية، وادُّعِي عليهم بمخالفة الإجماع)، فانتصر المرتضى عليهم بالحجة الدامغة، لأن ما اعترضوا عليه وافق غيرهم من العلماء المتقدمين أو المتأخرين، فحلل السيد وعلل على وفق ما ذكره المرتضى (رضوان الله عليه)؛ ثم انتقل للحديث عن أسلوبه في الانتصار فقال: (وجدته يتميز ببساطة التعبير، وتحاشي كل المعوقات البيانية التي يمكن أن تؤثر على الغاية، وتخل بالقصد والغرض، مع التزام تقليدي في طريقة العرض، حيث يبتدئ من مسائل الطهارة وينتهي بمسائل المواريث)، وبعد أن أوجز هذا الإيجاز الجميل تابع ما أورده الشريف في هذا الشأن، ومن بين ما ذكره أنه أحصى المسائل الفقهية التي انفردت بها الإمامية مما أورده المرتضى في كتابه فكانت ٢٥٢ مسألة في جزأي الكتاب، أما المسائل المظنونة فكانت ٨٢ مسألة في الجزأين.

وتلاحظ أن العنوان يوحي أن لغة الفقيد ميالة إلى الأسلوب الأدبي الرائق الذي يبتعد عن جفاف العبارة؛ وبيَّنَ من بينِ ما بيَّنَه أن كتاب الانتصار تخللته تحقيقات أدبية ولغوية وفقهية، فرصدها بذكر مواضعها في الكتاب؛ وقال أيضًا: إن المرتضى لم يغفل رأيًا أو يقلل من قيمته وإن كان يختلف مع صاحبه، مادامت الغاية تحرِّي الحقيقة وإصابة الواقع، فرصد أربعة وخمسين شخصية ورد ذكرهم في الكتاب، وعزف عن ذكر الباقين منهم، وهم كثر.

وقال: إن المرتضى قد يعمد أحيانًا إلى ذكر المصدر وصاحبه، أو يكتفي بذكره، وقدم أمثلة من الكتاب على ذلك، وقال من بين ما قال أيضًا: إن المرتضى في بيان ما انفردت به الإمامية من أحكام، أو ظُنَّ انفرادهم بها بيَّن ما يجب الإحاطة به عن طبيعة الأدلة التي اعتمدت عليها الإمامية، وعلى الرغم من توسع الفقيد في عرض هذا المبحث ودقته فيه، فإنه رآها نبذة وجيزة عن الإجماع الذي احتج به المرتضى في مسائل الانتصار، في وقت أبهر قارئه بحسن عرضه في وجازة تبتعد كل البعد عن الإخلال والإسفاف والإطالة، فكانت قراءة موضوعية يغبط عليها.

وفي مبحث الانتصار والفقه المقارن أو علم الخلاف، وما هما؟ عرف الفقه المقارن تعريفين؛ الأول: يراد به جمع الآراء المختلفة في المسائل الفقهية على صعيد واحد من دون إجراء موازنة بينها؛ والثاني: يراد به جمع الآراء الفقهية المختلفة وتقويمها، والموازنة بينها بالتماس أدلتها، وترجيح بعضها على بعض، والأخير أقرب إلى ما سمَّاه الباحثون القدامى بعلم الخلاف أو الخلافيات، وبعد هذا التعريف نقل الفقيد ما ذكر في هذا الاتجاه من آراء.

وبشأن أهمية الكتاب في ميدانه قال: (ويلوح لي أن السيد المرتضى بعمله هذا في الانتصار يكون أول من خطا خطوة جادة بيِّنة في إشاعة الفقه المقارن وتعميمه، بتصنيفه فيه كتابًا تنتظم فيه كل أبواب الفقه من العبادات والمعاملات والعقود والإيقاعات والحدود والديات والمواريث، كما يبدو لي أنه نمط فذ من أنماط الفقه المقارن...)، وفي هذه

الأثناء عرّج على ذكر بعض كتب الإمامية التي اهتمت بالفقه المقارن. وتمنى في نهاية عرضه طيب الله ثراه على مرجعية النجف أن تبادر إلى تحقيق هذا الكتاب وأمثاله وتيسيره لطلبة العلم، وتعميمه على المعاهد الدينية، وإلزام طلبتها بمدارسته.

وختم بحثه من بعد بالحديث عن طبعات الانتصار، فذكر أن أول طبعاته كانت سنة ١٢٧٦هـ، وهي طبعة حجرية نشرها محب الخير محمد باقر بطهران، وبعد تسع وثلاثين سنة طبع ثانية بطهران طبعة حجرية أيضًا سنة ١٣١٥هـ، ولم يطبع سوى هاتين الطبعتين، ثم أشار إلى هذه الطبعة التي تولاها الكتبي. وذكر أنها قوبلت على مصورة من الانتصار بخط أبي الحسين علي بن إبراهيم الفرهاني كتبت سنة ٥٩١هـ وقابلها سماحته بالتعاون مع الشيخ الكتبي على مخطوطة في مكتبة الإمام كاشف الغطاء انتهى ناسخها من نسخها سنة ١٠٨٧هـ، وبسبب كثرة هناتها، اقترح سماحته على الكتبي إهمالها؛ وذكر أن الكتبي حرص حرصًا بالغًا على تنقية هذه الطبعة من الأخطاء، مؤثرًا أن يكون تصحيح الملازم معه، إلا أن السيد كان ينقطع عنه لكثرة مشاغله.

وأزعم في ختام هذ العرض الموجز الذي لم أستطع إنصاف الباحث فيه أنه (رضوان الله عليه) كان أكاديميًّا في دراسته، التزم بشروط البحث العلمي، جادًّا في تقديمه، حريصًا كل الحرص على نسبة المعلومات لمصادرها الأصيلة، من دون تحيز لمصدر بعينه على آخر، وقد بلغت مصادر التقديم ستة وثمانين مصدرًا ما بين قديم وحديث، وكتب دراسته الماتعة بأسلوب جمع بين

البيان والفصاحة وسديد القول، وسحر العبارة، وقد لا أكون مغاليًا إذا قلت: إنها تنماز على كثير من كتابات الباحثين لسلاستها وحسن صياغتها وجودة سبكها.

رحم الله الفقيد، وطيب ثراه، وأسكنه فسيح جنانه، وحشره محشر أجداده آل البيت (سلام الله عليهم)، وهو اليوم بجوار جده المرتضى (عليه السلام).

وبعد: فيظهر لي على الرغم من الجهد الذي بذله الكتبي في هذه النشرة من الانتصار فإنها لم تحقق على أصول خطية معتبرة، وإن طبعاته السابقة الحجرية هي بمنزلة النسخ المخطوطة، ولكن لا تعرف المخطوطات التي اعتُمدت في طبعها، وهي قديمة من زمان الطبع الحجري.

وإن كان الكتاب قد طبع حديثًا فلا أظنه أخذ حقه من التحقيق العلمي الرصين؛ ولأهميته وقيمته العلمية والتاريخية تمنيت على أخي العلامة المحقق السيد محمد صادق (دام عزه) أن يجمع مخطوطات الانتصار، ويعيد تحقيقه على أسس التحقيق التي لا تغيب عنه، لإخراجه بأفضل صورة كي ييسره على طلبة العلم من الدارسين، وعلى الباحثين في ميدان الفقه المقارن.

وبعد فهذا جهد المقل أضعه بين يدي أخي محمد صادق -على استحياء- وأدعو الله أن يوفقنا جميعًا لما يحبه ويرضاه، ويتجاوز عن خطايانا ويجعل خواتيمنا على خير، إنه على كل شيء قدير.

فضائل الإمام علي (عليه السلام)...

قال رسول اللَّه (صلى الله عليه وآله وسلم):

يا عليّ لو أن عبداً عَبَدَ اللَّه عز وجل مثل ما قام نوح في قومه، وكان له مثل أحدِ ذهبا فأنفقه في سبيل اللَّه، ومدّ في عمره حتى حج ألف عام على قدميه ثم قتل بين الصفا والمروة مظلوماً ولم يوالك لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها.

بحار الأنوار ج٢٧ ص١٩٤ ح٥٣ * ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٢٩

Editors Board

Prof. Dr. Salah Mahdi Al- Fartousi
University of Rotterdam-Holland

Prof. Dr. Abdul Ali Safih al-Tai
Advisor to the Ministry of Education
France

Prof. Dr. Jawad Kazem Al -Nasrallah
University of Basra- College of Arts

Prof.Dr. Abdul Hussain Abdul Rida Al Omari
University of Dhi Qar- College of Arts

Prof. Dr. Hussein Ali Al-Sharhani
Dhi Qar University- College of Education
for Human Sciences

Prof. Dr. Mohamed Hassanein Al-Naqawi
University of Bahaauddin- Pakistan

Prof. Dr. Mustafa Kadhim Shgedl
College Of Arts/Baghdad University

Asst. Prof. Dr. Nieamah Dahsh Farhan Al- Taee
University of Baghdad
College of Education Ibn Rushd

Asst. Prof. Dr. Ahmed Hussein Abdel Sada
University of Muthanna
College Of Education For Human Sciences

Dr. Haidar Hadi Khalkal Al Shaibani
Directorate of Education - Najaf Ashraf

Copy Editors (Arabic)

Asst. Prof. Dr. Karim Hamza Hamidi

Dr. Ammar Hassan Al Khozai

Asst. Lectur. Ali Abbas Al-Rubaie

Financial and Management

Asst. Lectur. Ali Abbas Al-Rubaie
Ahmed Adnan Al-Muamar
Zaman Jaafar Kadhim
Asst. Lectur. Ali Jassim Mohammed Ali

Copy Editors (English)

Hassanein Ali Abdul Amir Al-Tai

Design And Production

Ahmed Abbas Mahdi

Editor-In-Chief

Prof. Dr. Abbas Ali Hussein Al-Faham

University of Kufa- College of Education for Girls

Managing Editor

Prof. Dr. Hassan Hamid Fayyad

College of Basic Education - University of Kufa

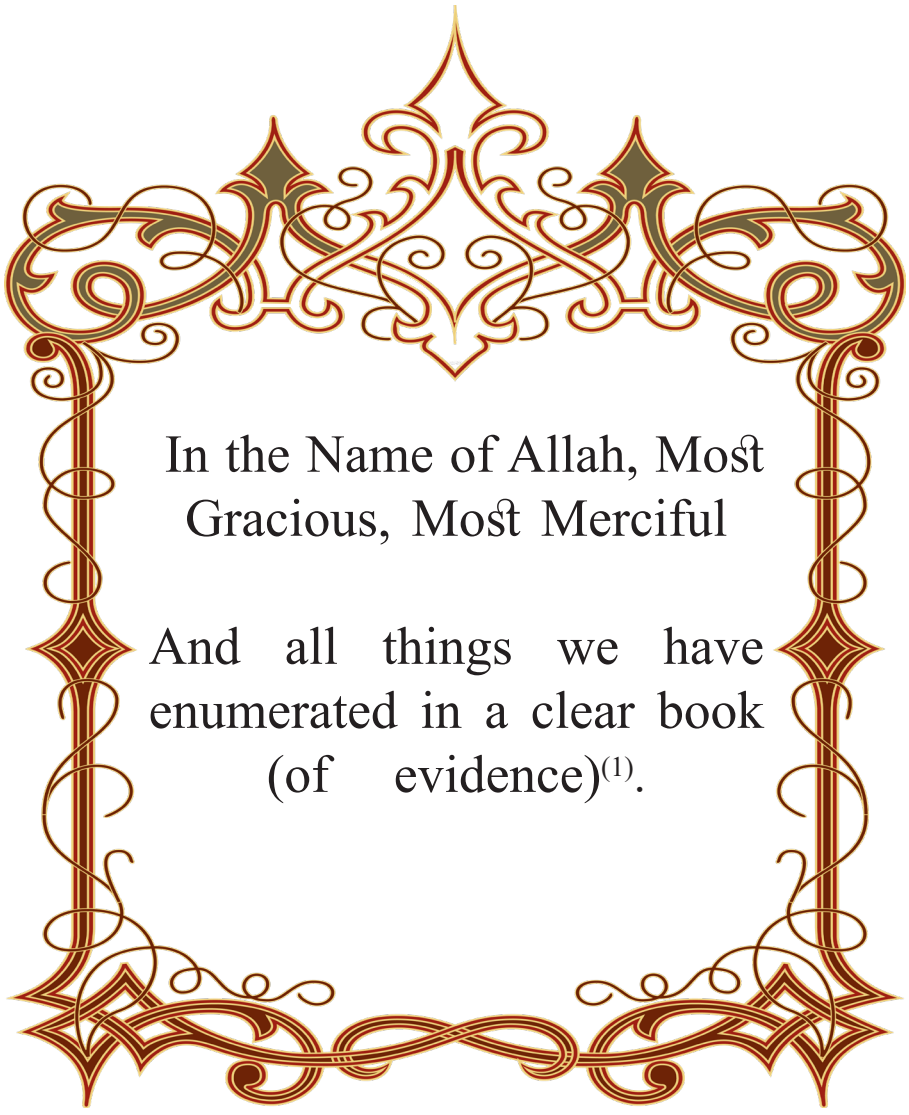

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

And all things we have enumerated in a clear book (of evidence)[1].

1- Abodullah Yussif Ali, The Holy Quran, Text Translation and Comment,(Kuwait: That El-salasil,1989) , Iyat 12,Sura,Yasin.

Al-MUBEEN

Quarterly Adjudicated Journal

Concerned with the Sciences of Road of Eloquence
(Nahj Albalagha) and the chronicle of Imam Ali (a.s)
And his thought

Issued By

General Secretariat of the Holy Al-hussien Shrine

Nahjul Balagha Sciences Foundation

Licensed by

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Reliable for Scientific Promotion

Seventh Year. Fifteenth Edition

RAMADAN month 1443 AH - April 2022 AD